

ابن هشام الأنصاري

مُصَنَّفَاتُهُ تَمَيَّزَتْ بِالْمَبَاحِثِ النَّحْوِيَّةِ وَالِاسْتِنْبَاطَاتِ الرَّائِعَةِ



شخصيات تاريخية

هَلْ تَعْرِفُونَنِي وَتَعَلَّمُونَ مُسَاهِمَاتِي فِي خِدْمَةِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ؟ عَلَى أَيِّ حَالٍ أَذْكُرُكُمْ بِنَفْسِي، أَنَا جَمَالُ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُوْسُفَ ابْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُوْسُفَ الْمِصْرِيِّ، وَقَدْ اشْتَهَرْتُ بِابْنِ هِشَامِ الْأَنْصَارِيِّ، وُلِدْتُ عَامَ 708 هـ بِمِصْرَ.

الَّذِينَ حَفِظُوا وَجُودَ هَذَا الْعِلْمِ بَعْدَ نَكْبَتِي الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَنَقَلُوهُ كَامِلًا غَيْرَ مُنْقُوصٍ لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِمَّنْ حَدَّثُوا فِي عَصْرِ الظَّلَامِ، وَنَشِطَتْ حَرَكَةُ التَّأْلِيفِ لِتَزِيدَ الْإِقْبَالَ عَلَيْهِ. وَقَدْ حَرَضْتُ عَلَى جَمْعِ خُلَاصَةِ مَا

تَعَلَّمْتُهُ، فَتَعَمَّقْتُ فِي مَذَاهِبِ النُّحَاةِ فَتَمَثَّلْتُهَا تَمَثُّلًا غَرِيبًا نَادِرًا، وَهِيَ مَبْنُوتَةٌ فِي مُصَنَّفَاتِي مَعَ مَنَاقَشَتِهَا وَبَيَانِ الضَّعِيفِ مِنْهَا وَالسَّيِّدِ، مَعَ

إِثَارَةَ مَا لَا

يُحْصَى مِنَ الْخَوَاطِرِ وَالْأَرَءِ فِي كُلِّ مَا أَنْاقَشْتُهُ وَكُلِّ مَا أَعْرَضْتُهُ.

وَقَدْ تَرَكْتُ لِلْمَكْتَبَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْكَثِيرِ مِنَ الْمَوْلَفَاتِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى قُوَّةِ مَلَكَتِي وَاطِّلَاعِي،

بَدَأْتُ أَتَلَّقَى الْعِلْمَ وَفَقَّا لِلنِّظَامِ السَّائِدِ وَقْتَهَا، فَقَدْ لَزِمْتُ مُعَلِّمِي الْأَوَّلَ عَبْدَ اللطيفِ بْنِ الرَّحَّلِ، كَمَا سَمِعْتُ مِنْ أَبِي حَيَّانِ دِيوَانَ زُهَيْرٍ، وَحَضَرْتُ دُرُوسَ التَّاجِ التَّبْرِيذِيِّ، حَتَّى فُقِّتُ أَقْرَانِي وَبَرَزْتُ، وَظَهَرَتْ مَقْدِرَتِي الْفَذَّةُ وَبُوعِي فَفُقِّتُ بِهَا شُبُوحِي.

وَقَدْ طَارَتْ شُهْرَتِي فِي الْعَرَبِيَّةِ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ الطُّلَّابُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ يَسْتَفِيدُونَ مِنْ عِلْمِي وَمَبَاحِثِي النَّحْوِيَّةِ الدَّقِيقَةِ وَالِاسْتِنْبَاطَاتِي الْمَتَمَيِّزَةِ.

وَفِي هَذَا الْعَصْرِ فَاضَتْ دِرَاسَةُ النَّحْوِ فِي أَغْلَبِ مُدُنِ الْقَطْرَيْنِ (مِصْرَ وَالشَّامِ)، وَبِخَاصَّةِ فِي الْقَاهِرَةِ وَدِمَشْقَ وَحَلَبَ، فَظَهَرَ فِي الْبَلَدَيْنِ الْجَهَابِذَةُ الْعُلَمَاءُ

النَّدَى وَبَلُّ الصَّدى»، وَ«شُدُورُ الذَّهَبِ فِي مَعْرِفَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ» وَلِي عَلَيْهِ شَرْحٌ، وَأَيْضًا كِتَابٌ فِي الْأَلْغَازِ النَّحْوِيَّةِ، هَذَا بِالإِضَافَةِ إِلَى الْعَدِيدِ مِنَ الْمَوْلَفَاتِ الْأُخْرَى، مِثْلُ: «الْجَامِعُ الْكَبِيرُ» وَ«الْجَامِعُ الصَّغِيرُ»، وَ«الْإِعْرَابُ عَنِ قَوَاعِدِ الْإِعْرَابِ»، وَ«التَّحْصِيلُ وَالتَّفْصِيلُ لِكِتَابِ التَّذْيِيلِ وَالتَّكْمِيلِ»، وَهِيَ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي تَذْخَرُ بِهَا الْمَكْتَبَةُ الْعَرَبِيَّةُ.

وَقَدْ اتَّبَعْتُ مَذْهَبًا يَقُومُ عَلَى الْإِخْتِيَارِ وَالِانْتِخَابِ مِنَ الْمَدَارِسِ النَّحْوِيَّةِ السَّابِقَةِ، فَأَوَازَنُ بَيْنَ آرَاءِ الْبَصْرِيِّينَ وَالْكُوفِيِّينَ وَمَنْ تَلَاهُمُ مِنَ النُّحَاةِ فِي أَقْطَارِ الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ، مُخْتَارًا لِنَفْسِي مِنْهَا مَا يَتَشَاوَرُ مَعَ مَقَائِيسِي مَظْهَرًا، مَعَ التَّوْجِيهِ وَالتَّغْلِيلِ وَالتَّخْرِيجِ، وَكَثِيرًا مَا أَشَقُّ لِنَفْسِي رَأْيًا جَدِيدًا لَمْ أَسْبِقُ إِلَيْهِ.

هَذَا مُلَخَّصٌ سَرِيعٌ لِمَشُورِي مَعَ اللُّغَةِ وَالْعِلْمِ الَّذِي بَدَّلْتُ فِيهِ وَسْعِي لِأَجْمَعِ عُلُومِ السَّابِقِينَ وَأَقْدَمَهَا لِلْأَجْيَالِ الْآلِاحِقَةِ. وَيَكْفِينِي فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ عَنِّي ابْنُ خَلْدُونَ عِنْدَمَا قَالَ: «مَا زِلْنَا وَنَحْنُ بِالْمَغْرِبِ نَسْمَعُ أَنَّهُ ظَهَرَ بِمِصْرَ عَالِمٌ بِالْعَرَبِيَّةِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ هِشَامِ أَنْحَى مِنْ سِبْيُونِهِ».

وَيُعَدُّ كِتَابِي «الْمُغْنِي» أَهْمَهَا جَمِيعًا؛ لِأَنِّي اتَّبَعْتُ فِيهِ مَنَهْجًا لَمْ أُسْبِقُ إِلَيْهِ؛ إِذْ لَمْ أَقِمُّهُ عَلَى أَبْوَابِ النَّحْوِ الْمَعْرُوفَةِ، بَلْ قَسَمْتُهُ إِلَى قِسْمَيْنِ كَبِيرَيْنِ: قِسْمٌ أَفْرَدْتُهُ لِلْحُرُوفِ وَالْأَدْوَاتِ، وَالْقِسْمُ الْآخِرُ فَتَحَدَّثْتُ فِيهِ عَنِ أَحْكَامِ الْجُمْلَةِ، وَأَقْسَامِهَا الْمُتَنَوِّعَةِ.

وَمِنْ أَشْهَرِ مُصَنَّفَاتِي شَرْحِي عَلَى الْفَيْئَةِ ابْنِ مَالِكٍ «أَوْضَحُ الْمَسَالِكِ إِلَى الْفَيْئَةِ ابْنِ مَالِكٍ»، وَقَدْ تَوَخَّيْتُ فِيهِ شَرْحَ الْأَلْفَبَةِ مَعَ الْإِلْمَاحِ إِلَى مَا فَاتَهَا مِنَ اسْتِحْكَالِ بَعْضِ الْأَقْسَامِ، وَمِنْ أَنْسِجَامِ فِي تَرْتِيبِ الْمَعْلُومَاتِ، وَمِنْ تَنْسِيقِ فِي ضَمِّ الْقَوَاعِدِ الْمُتَّصِلَةِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ.

وَمِنْ مَوْلَفَاتِي أَيْضًا «قَطْرُ

